آليات التأسيس المعرفي و المنهجي لنظرية سوسيولوجية عربية.

أ. عباس ميدون
أ. عبد المالك همال
جامعة باتنة -1- الجزائر
Abbes-h@hotmail.fr

ملخص:

تمثل النظرية الاجتماعية وجها من أوجه المعرفة العلمية التي يتم بناؤها على أسس منهجية منظمة، تشمل توخي الجانبين النظري والإمبريقي، كما أنها تفسر حقيقة الواقع الاجتماعي ومكوناته...، ولما كانت البحوث التي أجريت على المجتمعات العربية والإسلامية تبعت خطى التيارات السيوسيولوجية الغربية، فقد حاول المفكرون العرب دراسة واقع مجتمعاتهم في ضوء ما جاءت به التيارات الغربية من أفكار ونظريات، تلك النظريات التي تأسست في مجتمعات مغايرة تماما لطبيعة مجتمعاتنا العربية والإسلامية، لذلك فشلت النظريات السوسيولوجية الغربية في تشخيص واقع مجتمعاتنا، لأنها لا تستقيم مع طبيعة شعوبنا وما ورثته من عادات وقيم وتراث ثقافي وأخلاقي، لذلك كان مصير هذه الدراسات والبحوث الحفظ في المكتبات دون محاولة الاستفادة منها، وهذا ما يستدعي ضرورة العودة إلى التراث العربي الإسلامي من اجل بناء نظرية سوسيولوجية لواقع مجتمعاتنا، ولهذا نسلط الضوء في هذه المداخلة على أهم الآليات المنهجية والبدائل المعرفية لتأسيس نظرية سوسيولوجية خاصة بالمجتمعات العربية والإسلامية .

The mechanisms of cognitive and methodological foundation of an Arab sociological theory.

Abstract :

The social theory represent an aspect of the scientific knowledge that is being built on the foundations of organizing methodology that include the theoretical and empirical sides as it interprets the fact of the sociological reality and its components,,,, and as researches that was conducted on the Arabic and Islamic societies followed the footsteps of the occidental sociological currents, the Arab thinkers have tried to study the reality of their communities in the light of what the occidental currents have brought from ideas and theories which have been founded in communities totally different from the nature of the Arabic and Islamic societies ,therefore the occidental sociological theories failed in the diagnosis of the reality of our societies because it does not correspond with the nature of our people and the inherited customs, values and cultural and the moral heritage, so the fate of these studies and research was archived in libraries without trying to take advantage of them and this is what required the need to return to the Arabic and Islamic heritage to build a sociological theory of the reality of our societies and for that we highlight in this intervention on the most important mechanisms of the methodology and alternative knowledge of founding a sociological theory specific to Arabic and Islamic societies.

مقدمة:

تمثل النظرية الاجتماعية وجها من اوجه المعرفة العلمية التي يتم بناؤها على اسس منهجية منظمة تشمل توخي الجانبين النظري والإمبريقي، كما انها تفسر حقيقة الواقع الاجتماعي ومكوناته... و لما كانت البحوث الميدانية التي اجريت على المجتمعات العربية والإسلامية تبعت خطى التيارات السوسيولوجية الغربية في ضوء تيارين فكريين في علم الاجتماع وهما : الاتجاه البنائي الوظيفي والذي يهدف الى احداث التوازن و التساند وابقاء الحال كما هو عليه، وعدم الخوض في احداث تغييرات جذرية تهز كيان المجتمع، والاتجاه الثاني هو النظرية الماركسية القائمة على الصراع املا في خلاص المجتمع من مشكلاته عن طريق تبني الفكر الاشتراكي وصولا في مرحلة لاحقة الى تحقيق فكرة المجتمع الشيوعي.

وفي ظل هذين الاتجاهين المتناقضين ظهرت عدة نظريات ومدارس وتيارات حاولت ان تجد علاجا لمشكلات المجتمع المعاصر، ومع ذلك فالمشكلات تتفاقم يوما بعد يوم، ولم تلتق هذه التيارات الفكرية حول هدف مشترك يخفف من ويلات وألام الانسان .

ولما كان المجتمع العربي والإسلامي احد المجتمعات المعاصرة التي خطى هذه التيارات الاجتماعية، فقد حاول المفكرون العرب دراسة واقع مجتمعاتهم في ضوء ما اتت به هذه التيارات من أفكار ونظريات، تلك النظريات التي نبعت في مجتمعات مغايرة لطبيعة وخصوصية مجتمعاتنا، ومع ذلك فقد التمس المفكرون العرب في هذه النظريات اساليب العلاج الانساني لما تعاني منه المجتمعات العربية والإسلامية من مشكلات من خلال استخدام عدة اليات لتوليد النظرية السيوسيولوجية في العالم العربي وهي التي استخدمها العقل العربي في توليد النظرية الاجتماعية منذ صدمته مع الحداثة الغربية، فلحظة التقاء الفكر العربي الاسلامي مع الفكر الغربي تولدت عنها تيارات فكرية لاتزال الى يومنا هذا .....

غير ان التحليل المعرفي للنظرية الاجتماعية الغربية والمتفحص لجملة قضاياها، يجدها انها فشلت في تفسير واقع المجتمعات العربية والإسلامية على حد سواء، لأنها لا تستقيم مع طبيعة شعوبنا وما ورثته من عادات وقيم وتراث ثقافي وأخلاقي، رغم ان بعض المنظرين العرب حاولوا قسرا تطبيق هذه النظريات على واقع مجتمعاتهم، ولذلك كان مصير هذه الدراسات والبحوث الحفظ في المكتبات دون محاولة الاستفادة منها. وكنتيجة للخصوصيات التاريخية والحضارية التي ظهرت فيها هذه النظريات والمرتبطة تحديدا بالمجتمعات الغربية، ومن منطلق نقدي للآليات التي لم تتمكن من توليد النظرية السيوسيولوجية، فقد حاول بعض الباحثين الاجتماعيين طرح بدائل معرفية للنظرية السيوسيولوجية الغربية، متمثلة في وضع نظرية خاصة تتناسب مع طبيعة مجتمعاتنا العربية والإسلامية، وان تشتق هذه النظرية من الوضعية الاجتماعية لمجتمعاتنا، مع محاولة الاستفادة من تراث الفكر العالمي في مجال النظرية، من اجل الاهتداء الى تفسير خصوصية واقع الشعوب العربية والإسلامية، موقنين ان اول الطريق خطوة، فالنظرية الاجتماعية الغربية لم تظهر طفرة واحدة، وإنما ظهرت من خلال جهد شاق واجتهادات علمية بين المفكرين، فلماذا نتقاعس اذن عن وضع نظرية خاصة بنا ونرضى بالتبعية الفكرية لغيرنا؟

وكأحد الاسهامات الوليدة نحو وضع الخصوصية موضع التنفيذ، فهناك من دعا الى صياغة نظرية اجتماعية عربية نتمكن من خلالها من دراسة مجتمعاتنا العربية، وهناك من تبن نظرية اجتماعية من منظور اسلامي وذلك عبر تحقيق الانسجام بين الخطاب الديني والسوسيولوجي.

ومن هنا جاءت هذه المداخلة لتسلط الضوء على اهم اليات توليد النظرية السوسيولوجية، واهم البدائل التي طرحها الفكر العربي لبناء نظرية خاصة بالمجتمعات العربية والإسلامية وعليه يمكن طرح الاسئلة التالية: ماهي أهم

الآليات التي اعتمدها العقل العربي لتوليد النظرية الاجتماعية في الوطن العربي؟ وماهي أهم البدائل المعرفية والمنهجية لصياغة نظرية اجتماعية خاصة بالمجتمعات العربية والإسلامية؟

وللإجابة عن هذه الأسئلة تناولنا في هذه المداخلة مايلي:

أولا: آليات توليد النظرية السيوسيولوجية.

ثانيا: النظرية الاجتماعية الغربية وعلاقتها بدراسة واقع المجتمعات العربية والإسلامية.

ثالثا: البدائل المعرفية والمنهجية لبناء نظرية اجتماعية في العالم العربي.

أولا: آليات توليد النظرية السيوسيولوجية:

لقد استخدم المفكرون الاجتماعيون العرب عدة اليات لتوليد النظرية السيوسيولوجية في العالم العربي، وتتمثل اولا في استعارة المنهج كصيغة إجرائية وثانيا الية اسقاط النظرية الاجتماعية الغربية على الواقع الاجتماعي العربي وثالثا آلية التأسيس المنهجي الوضعاني لتوليد نظرية اجتماعية في العالم العربي.

1-آلية استعارة المنهج من الحقل المعرفي الغربي لتوليد نظرية اجتماعية عربية :

تعتبر الية استعارة المنهج من الحقل الغربي لتوليد النظرية الاجتماعية الاكثر استخداما وشيوعا في الدراسات الاجتماعية في العالم العربي، سواء وعى الباحث بهذه الالية او لم يع ويقوم باستخدامها كما تستخدم الآلات المستوردة من الغرب في عمليات الانتاج المادي[1]، فيتبع العقل العربي وفق هذه الالية الاستعارية خطوات المناهج التي يبدعها العقل الغربي، فتتم استعارة المنهج مفصولا عن الرؤية الحضارية التي شكلته في سياق تاريخي معين[2]، فيرى اصحاب هذه الالية ان النظرية السيوسيولوجية تطورت في الحقل المعرفي الغربي لأنها وظفت المنهج العلمي المستخدم في العلوم الطبيعية، ويتم اختزال مفهوم المنهج الى جملة صيغ اجرائية تبتدئ من تحديد المشكلة فصياغة الفرضيات، فالتحقق منها باستخدام ادوات منهجية والمتمثلة في المقابلة او الاستمارة، لتنتهي الدراسة في شكل جداول احصائية وذللك بنفي او اثبات الفرضيات.

من الملاحظ ان اصحاب هذه الالية لا يهتمون بقضايا النظرية والمفاهيم المرتبطة بها، بقدر اهتمامهم بالبعد الاجرائي المنهجي، حيث يركزون على صياغة الفرضيات السببية واستخدام اللغة الاحصائية للتأكد من صدقها، كما اعتبروا المنهج جملة خطوات ميكانيكية يطبقونها لإنتاج خطاب سوسيولوجي خاص بدراسة الواقع الاجتماعي العربي، مما جعل الضعف المعرفي يجانب الكثير من الممارسات السيوسيولوجية، والضعف في مجال الوعي النقدي بالمفاهيم والنظريات الاجتماعية[3].

ان من اهم الانتقادات المنهجية التي يمكن ان توجه لآلية استعارة المنهج: هو غياب الوعي الابستمولوجي لدى الباحثين في العالم العربي بالمنهجية في العلوم الاجتماعية، لذا تكون نتائج البحوث والدراسات التي تستخدم هذه الالية لا تختلف كثيرا عن التوصيف الادبي الروائي للواقع الاجتماعي ولكن بلغة رياضية احصائية، كما يغيب عن اصحاب استعارة المنهج جملة من القضايا كالمفاهيم التي تستعار من الحقل المعرفي الغربي، وإشكالية صياغة الفرضيات التي غالبا ما تكون عبارة عن فرضيات مولدة من الحس المشترك، كما ان اكبر لبس معرفي يقع فيه اصحاب هذا الاتجاه هو الفصل بين الفكر السوسيولوجي الغربي كمحتوى، وبين الاليات المنهجية التي استخدمها في توليد النظرية الاجتماعية.

2- آلية اسقاط النظرية الاجتماعية الغربية على الواقع الاجتماعي العربي:

ينطلق اصحاب هذه الالية التي تعتمد على اسقاط النظرية الاجتماعية على الواقع الاجتماعي للعالم العربي، من فكرة مفادها ان النظريات الاجتماعية التي يحتويها الفكر السوسيولوجي الغربي هي منجزات عقلية عالمية[4]، إضافة الى ذلك يذهب اصحاب هذا الاتجاه الى اغفال السياق التاريخي، فالنظرية الاجتماعية بالنسبة لهم صورة من صور المعرفة الاجتماعية خالية من اي مضمون ثقافي او حضاري، تعرف على اساس انها جملة من القضايا المنطقية المرتبطة ببعضها البعض تقع في علاقة جدلية مع البحث الاجتماعي، فالعلم واحد والسيوسيولوجيا واحدة في كل انحاء العالم، لأنها علم والعلم لا يتجزأ، فلاتكن له خصوصيات اقليمية او محلية[5]، كما يقف اصحاب هذا الاتجاه على المقولات المعرفية والمنهجية المركزية لنظرية ما، وفي الغالب الاعم تظهر في الدراسات والبحوث الاجتماعية العربية: النظرية الماركسية الصراعية والنظرية البنائية الوظيفية –الاكثر حضورا في الممارسة التوليدية للمعرفة السيوسيولوجية في العالم العربي– ثم يسقطونها على الواقع الاجتماعي، سواء اخذوا بالنظرية وكل مفاهيمها او قاموا بعملية التفاضل داخل النظرية، كان يختاروا المفاهيم الاقرب للواقع ويستغنوا عن تلك التي لا تبدوا ان لا صلة لها بالواقع وبالمجتمع العربي والإسلامي[6].

ان الية اسقاط النظرية الاجتماعية الغربية على الواقع الاجتماعي العربي لم تقدم الكثير للمعرفة السيوسيولوجية المهتمة بقضايا المجتمع والإنسان العربي، بل ظلت ممارسات تحتكم لأهواء وتحيزات الباحثين للنظرية الاجتماعية الغربية، حيث يقوم الباحث بالاطلاع على الجهاز المفاهيمي لنظرية اجتماعية ما ثم يسقطها بطريقة ميكانيكية على المجتمع العربي، لذلك اتت هذه النظريات مثقلة بالايدولوجيا مما افقدها الكثير من الموضوعية العلمية، لتكون نتائجها في الغالب الاعم متعارضة داخل المجتمع المحلي الواحد، كما تغيب عن اصحاب هذه الالية اشكالية المنهج تماما، بل المهم بالنسبة لهم صب الواقع في قالب نظري.

3- آلية التأسيس المنهجي الوضعاني لتوليد نظرية اجتماعية عربية:

ينطلق اصحاب هذا الاتجاه من فكرة مفادها ان الحداثة الغربية كونية وعالمية وقابلة للاستنساخ في المجتمعات غير الغربية، وبالتالي يؤكدون على ان هذه المناهج العلمية التي انتجها العقل الغربي هي ليست خاصة به بل هي نتاج العقل الانساني ومن حق المجتمعات الاسلامية ان تستفيد منها، كما انهم متفقون منذ البداية مع مختلف مجالات الاتجاهات الفكرية على ان الازمة الفكرية في العالم العربي وفي مختلف مجالات المعرفة التي من بينها العلوم الاجتماعية هي ازمة منهج لا ازمة تنظير[7]، كما دعا اصحاب هذا الاتجاه الى التأسيس المنهجي والمعرفي من خلال اتخاذ موقف معرفي من الحداثة الغربية من خلال الانخراط الفعلي فيها، من منطلق قابلية التفاعل الثقافي والحضاري بين المجتمعات الانسانية، فالحداثة وما انبثق عنها من قيم علمية وعملية تحمل دلالات كونية ولا تختص بمجتمع دون سواه[8]، فما توصل اليه العقل الغربي ليس حكرا له بل هو منجز معرفي تشترك فيه كل الانسانية، لان العقل الغربي استفاد من كل منجزات العقل البشري السابقة بدءا من الحضارة اليونانية وصولا الى الحضارة الاسلامية، فعلى العقل العربي ان يعيد امتلاك واكتشاف ادوات العقل الغربي ليتمكن من الانخراط في الحداثة والتي لم تعد توصف بالمحلية الغربية، فهي البديل الوحيد للعقل العربي للانخراط فيه[9]، لأنه كلما ابتعد عنه يحرم نفسه من الولوج الى تاريخ الانسانية المعاصرة، فالانخراط الواعي في الحداثة هو الذي يمكننا من العودة الى مسار التاريخ[10]، وأشكال هذه الحداثة تتمثل اولا في: العقلانية العلمية من خلال استخدام العقل المنهجي العلمي في دراسة مشكلات وقضايا المجتمع العربي والإسلامي، والاستفادة من المناهج التي طورها العقل الغربي، وثانيا ضرورة تجاوز النموذج المعرفي الاسلامي الذي تشكل في القرون الوسطى انطلاقا من النص لإنتاج المعرفة[11].

كما يرى اصحاب هذا الاتجاه بضرورة ان يتحرر العقل العربي من سلطة النص التراثي، وان يعتمد على المناهج العلمية الوضعانية لتأسيس معرفة معاصرة كما سبقه في ذلك العقل الغربي في عصر التنوير، كما عليه ان يكف عن استخدام التراث كنموذج معياري، بل يجب عليه نقده وتجاوزه، فضلا عن الاستغناء عن تلك العملية الاختزالية التي يقوم بها من خلال البحث في التراث مع ما يتماشى مع القضايا المعاصرة.

ان اهم انتقاد يمكن ان يوجه لأصحاب هذا الاتجاه انهم اسقطوا التجربة الغربية على التجربة الاسلامية، لذلك عملوا منذ البداية على اقصاء واستعداء الدين الاسلامي، رغم ان التجربة الاسلامية تختلف تماما عن التجربة الكنسية الغربية في القرون الوسطى، لذلك استعاروا المناهج الغربية بشحناتها الثقافية والحضارية التي تقع على النقيض من التراث الاسلامي، هادمين بذلك الحقل المعرفي واستبداله بحقل معرفي غربي.

ثانيا: النظرية الاجتماعية الغربية وعلاقتها بدراسة واقع المجتمعات العربية والإسلامية:

يقف المشتغل بالعلوم الاجتماعية وعلم الاجتماع على وجه الخصوص، امام ذلك الكم الهائل من النظريات الاجتماعية، والتي كانت تنتج في كل مرحلة تاريخية، محاولة تقديم تفسيرات موضوعية للواقع الاجتماعي الغربي.

غير ان التحليل المعرفي للنظرية الاجتماعية الغربية والمتفحص لجملة قضاياها، يجدها تنطوي على مسلمات ابستمولوجية تنتمي الى النموذج المعرفي الغربي الذي انتج في هذه المرحلة من تاريخ البشرية (الحضارة الغربية)، رغم ادعاء النموذج الغربي انه عالمي وكوني وصالح لكل المجتمعات[12].

فمن خلال ايهام الشعوب امكانية الانخراط في الحداثة الغربية، وان ما وصلت اليه المجتمعات الغربية ستصل اليه بقية المجتمعات الاخرى في حركة احادية وتصاعدية لمجرى التاريخ، الذي رسمته فلسفة التنوير الغربية وبشرت به، غير ان المهتمين بحقل النظرية السيوسيولوجية يرون ان هذه الاخيرة لا يمكن ان تعطي ثمارها الامن خلال انطلاقها من ارضية صلبة (اطار مرجعي واضح المعالم) بالإضافة الى الواقع المعيش، وليس بالاعتماد على مثيلاتها المستعارة من بيئات غربية، فالنظرية الغربية كما يقول عادل حسين: نظريات عنصرية تقوم على الاحساس بالتفوق والهيمنة، وتبرز سيطرة الغرب الاقوى على النظام العالمي المستبد الى تقسيم دولي ينظر الى التنظيمات الاجتماعية غير الغربية بأنها ادنى، وغير قابلة للتجديد والتطور، وان على الغرب مهمة تاريخية هي العمل على تحديث العالم وتمدنه، فالحضارة عندهم احتكار للبيض الذين هم ارقى الاجناس، والغرب هو الغاية الوحيدة للتقدم الانساني، وتفوقهم مسلمة من المسلمات[13]، كما صورت لنا انها تتجاوز حدود الزمان والمكان، وواقع الامر انها كانت تنقل لنا تحت ستار العلم قيم العالم الغربي وأفكاره ليس لصالح العلم وإنما لصالح دول الغرب، فتخلينا عن ديننا و عقيدتنا و تصوراتنا عن الكون والإنسان والحياة، واستبدلناها بقيم الغرب وأفكاره وتصوراته وأخلاقياته، لنكتشف في النهاية ان ما يدعونه بالنظريات الغربية لا علاقة لها بالعلم[14].

وفي نفس السياق يرى مراد زعيمي : ان النظريات الغربية تتفق من الناحية البنائية وأنها مكونة من مصطلحات، مفاهيم وقضايا، تعريفات وفرضيات، في حين تختلف من حيث المحتوى التصوري لتلك العناصر والى الوظائف التي تقوم بها، لذا فإننا نجد اختلافات كثيرة بل تناقضات في كثير من الاحيان غير قابلة للانتقاء، فهناك اختلاف حول حقيقة الانسان والشخصية الانسانية، وهل ان الفرد سابق في الوجود عن الجماعة ام العكس، كما ان هناك خلاف حول العمليات الاجتماعية الاساسية التي تسود المجتمع.....ومع هذا الاختلاف فانه من المؤكد ان الاصول الفكرية للنظريات الاجتماعية الغربية تعود الى مصدر واحد، فهي تفصح عن ذلك الطابع المادي والإلحادي[15].

انطلاقا من الرؤى السابقة والتي تؤكد ان النظريات الاجتماعية الغربية لا تعبر بشكل اساسي عن ظروف وواقع المجتمعات العربية والإسلامية...يمكن القول باستحالة او على الاقل صعوبة تعميم النظريات الاجتماعية الصادرة منها، مع غياب الصدق الامبريقي في حالة تطبيقها على مجتمعات وثقافات غير غربية وهذا يرجع الى عدة اسباب منها ما يلي[16]:

- ان النظريات الغربية هي انعكاس لظروف وإشكاليات المجتمعات الغربية السريعة التحول والتي تختلف جذريا عن واقعنا العربي.
- سرعة التحولات في الاتجاهات النظرية الغربية يعكس عمق الازمات الثقافية وأزمات الواقع الاجتماعي.
- الانطلاق في دراسة المجتمع العربي من التصورات النظرية الغربية لن يفيد في الفهم الواقعي لمجتمعاتنا، كما لابسهم في دعم برامج التنمية ومواجهة المشكلات داخلها.
- التمسك بالأطر النظرية الاجتماعية الغربية، لا يعكس فقط شكلا من اشكال التبعية، ولكن يعكس الجمود والتحجر الفكري وعدم متابعة التطورات المعاصرة في المجتمعات.
- اغلبية النظريات الاجتماعية الغربية لا تتفق مع المعيار المثالي للعلم.

وعليه يمكن القول اننا مطالبون بالتحرر من التبعية المعرفية الغربية من خلال ايجاد بدائل معرفية لتأسيس نظرية اجتماعية عربية اسلامية نتمكن من خلالها من تفسير الواقع الاجتماعي العربي .

ثالثا: البدائل المعرفية والمنهجية لبناء نظرية اجتماعية في العالم العربي:

1- نحو بناء نظرية اجتماعية عربية:

ينطلق اصحاب الاتجاه التأسيسي لنظرية اجتماعية عربية من نقد النظرية السوسيولوجية الغربية، ومن فكرة مفادها ان الموضوع البحثي للنظرية الاجتماعية الغربية لا يستوعب الواقع الاجتماعي العربي، ولا يعبر عن قضايا المجتمع والفرد العربي[17]، وهذا يعود الى عاملين اساسيين: فالعامل الاول يعود الى البعد الايدلوجي للنظرية الاجتماعية الغربية، ففي سنوات السبعينات كانت هناك سيادة على الاقل لنظرتين وهما: النظرية الماركسية الصراعية، والنظرية البنائية الوظيفية، حيث ساد الاتجاهين السالف الذكر في رقعتين جغرافيتين مختلفتين سياسيا احداهما يمثل المعسر الشرقي بقيادة الاتحاد السوفيتي سابقا، ويتبنى نظرية الصراع، في حين يتبنى المعسكر الغربي بقيادة الولايات المتحدة الامريكية، نظرية التكامل[18]، فمن منطلق القومية والحماسة الوطنية، دعا العديد من الباحثين والمفكرين العرب الى ضرورة تأسيس نظرية اجتماعية تجسد المشخصات العقائدية والثقافية للأمة العربية، مما يكون لها القدرة على تفسير الواقع الاجتماعي لها، ويتمثل العامل الثاني في تشظي النظرية في علم الاجتماع الغربي مما يؤكد ان النظرية الاجتماعية لها ارتباط بالسياق التاريخي والاجتماعي الذي تولد في الحقل المعرفي الغربي، مما اعطى دافعا قويا لدعاة التأسيس لعلم الاجتماع العربي الى ضرورة نقد النظرية الاجتماعية الغربية، والدعوة الى تأسيس نظرية اجتماعية عربية.

وفي هذا الصدد لابد من منطلقات للبدء في تأسيس نظرية اجتماعية خاصة بالمجتمع العربي تتوفر على مايلي[19]:

- القدرة على الفهم الحقيقي للمجتمع العربي او الظواهر المستجدة.
- العمل على تطوير المنهج وتحريره من الثنائيات المستوردة من الفكر الاجتماعي الغربي.
- الوصول الى قوانين وتفسيرات اجتماعية ليس بالضرورة ان تكون مطابقة او محالة الى النظريات الاجتماعية الكبرى في علم الاجتماع.

ونفس السياق يقترح محمد امزيان مجموعة من المقترحات لصوغ نظرية اجتماعية عربية: اولها تتمثل في القراءة الاجتماعية للتراث العربي للكتاب العرب الذين عاشوا بين القرن 18م الى القرن 14م، وثانيها دراسة الوضع الاجتماعي

العربي الحالي في ضوء تراثنا مع التخلي عن الاساليب المنهجية الاجنبية، وثالثها خدمة الاهداف القومية للأمة العربية والخروج من الازمة التي تعيشها، ورابعها اغناء التراث الانساني الاجتماعي بجهود الكتاب و المفكرين العرب.

اما عبد الباسط عبد المعطي فيرى اننا في حاجة الى فكر نابع لا تابع، وإننا في حاجة الى رفض واع لما يصدر لنا من فكر سوسيولوجي، وان نميز وننتقي ما يفيد في ضوء تصورات مستقبلية نرنو اليها لصالح الوطن والمواطن العربي، فيقتضي منا لبناء نظرية اجتماعية عربية السير في عدة خطوات منها[20]:

_ اتخاذ موقف معرفي نقدي من التراث النظري الاجتماعي الغربي، والتراث العربي الاجتماعي.

_ اجراء دراسات مسحية تاريخية ومعاصرة، تكون غاياتها تحقيق التنمية الشاملة، على ان يكون تركيزها الاساسي فهم وتفسير الواقع الاجتماعي العربي.

_ التنسيق بين مختلف البحوث السيوسيولوجية المحلية والقومية، وهذا لن يكون دون معهد عربي متخصص.

وفي نفس السياق دعا مؤسسو علم الاجتماع العربي الى ضرورة العودة الى التراث العربي من اجل صياغة نظرية اجتماعية عربية، عن طريق الوصل المنهجي بالنصوص التراثية وعملية وصل الموضوع اي المجتمع العربي والذات العربية المزمع بناؤها بجذورها التراثية الاجتماعية، مما يعطي الخصوصية الحضارية لموضوع البحث في علم الاجتماع العربي، فالرجوع الى التراث يمكننا من الحصول على القواعد الاساسية للحياة الاجتماعية المعاصرة بأصالتها العربية، ويغنينا عن تبني تراث المجتمعات الاخرى، واستخدامه في دراسة وتفسير واقعنا الاجتماعي الحالي، باعتباره يختلف عن واقعنا في اصالته وبنائه[21].

وخلاصة القول ان الهدف من صياغة نظرية اجتماعية عربية هو مساعدة الانسان والمجتمع العربي على الدخول الى عالم الحداثة، من خلال تحديد عوامل النجاح ومعيقات التنمية في العالم العربي، من اجل بناء مشروع النهضة العربي.

2- صياغة نظرية اجتماعية من منظور اسلامي:

ينطلق اصحاب اتجاه صياغة نظرية اجتماعية من منظور اسلامي من نفس دعاة التأسيس لنظرية اجتماعية عربية، والمتمثل في عجز النظريات الاجتماعية الغربية على تفسير ودراسة المجتمع العربي، فضلا على ذلك فالنظرية الاجتماعية الغربية بتوجهها الوضعي تقصي الدين من دائرة المعرفة، وتعتبره احد الظواهر الثقافية التي يمكن دراستها كبقية الظواهر الاجتماعية، في حين يرى اصحاب هذا الاتجاه ان الدين الاسلامي يختلف اختلافا جذريا عن الدين المسيحي الكنسي الذي عرفته اوروبا في القرون الوسطى[22].

كما ان عملية استيراد المناهج والمفاهيم، وغياب الوعي الابستمولوجي للدارسين للسوسيولوجيا في العالم العربي والإسلامي بالأطر العقائدية والأبعاد الايدلوجية للنظرية الاجتماعية الغربية والتي تبلورت حول الانسان والمجتمع الغربي غير قادرة على استيعاب الواقع العربي، كما ان منطلقاتها تختلف عن تصورات الرؤية الاسلامية الوجودية عن الله والإنسان والكون والوجود والحياة، فالحل يتمثل في الدعوة الى التأصيل للنظرية الاجتماعية انطلاقا من الرؤية المعرفية الاسلامية، وان تتم الاستفادة من المناهج العلمية الغربية عمليا في الدراسات الامبريقية من خلال الادوات البحثية التي تم تطويرها لرصد ودراسة الظواهر الاجتماعية والاستفادة من الدراسات الاجتماعية في مجال تنمية المجتمعات الاسلامية، فالعودة الى المعاني الاسلامية الرفيعة بكل مضامينها الاجتماعية مصالحة مع المجتمع الاسلامي، الذي لم يستجب للنماذج النظرية الغربية في التحديث والتي فرضتها واقع الامة الاسلامية عليه، ذلك يبرر على المفكر الاهتمام بالنظرية الاجتماعية، وان يستخلص مقوماتها من ذلك الاطار الاسلامي العام الموجه لحياة المجتمع الاسلامي وهو: القران الكريم والسنة النبوية الشريفة، وحتى يكتمل بناء نظرية اجتماعية من منظور اسلامي لابد من مجموعة من الخطوات نستعرض أهمها[23]:

أ- صياغة مفاهيم سيوسيولوجية من منظورا سلامي: حيث يشكل المفهوم الوحدة القاعدية والأساسية لتأسيس اي ابنية نظرية، تساعدنا على فهم الواقع وتحديد اتجاه حركته وفاعليته استنادا الى المرجعية التي تنتمي اليها هذه المفاهيم، لذلك فان محاولة ادراك وفهم الواقع يستلزم ان يتحقق ذلك من خلال توضيح المفاهيم المرتبطة بالمرجعية الاسلامية بالأساس، وعليه ضرورة تبني مجموعة من الاجراءات عند بناء مفاهيم سيوسيولوجية من منظور اسلامي منها:

- ضرورة تحديد المفهوم استنادا الى القران الكريم والسنة النبوية الشريفة، اضافة الى تحديده كما جاء في فقه الائمة الاربعة، الى جانب استكشاف التأويلات التي طرأت على المفهوم من قبل اسهامات المفكرين الاسلاميين المعاصرين.
- تحديد التحولات التي طرأت على تعريف وتحديد المفاهيم، ومدى ارتباط ذلك سواء بشخصية الفقيه، او بالسياق الاجتماعي الذي قد يعاد في اطاره تعريف المفهوم بما لا يخرجه عن مقاصده ودلالاته التي تحددت له في القران الكريم والسنة النبوية، او بسبب التراكم الفكري والفقهي الذي اتاح القدرة على استكشاف معاني جديدة للمفهوم.

ب- العمل على تطوير بنية النظرية الاجتماعية: ويمكن ان يتحقق ذلك من خلال بعدين اساسيين وهما:

البعد الاول: يتحقق من خلال مشروع يستهدف جمع الكتابات والإسهامات والأفكار المتناثرة المتعلقة ببناء نظرية اجتماعية من منظور اسلامي، فمن خلال محاولة التعرف على اهم التصورات المتعلقة بصياغة نظرية اجتماعية اسلامية، والانجازات التي تحققت والفجوات التي مازالت قائمة وتحتاج الى استكمال سواء على مستوى تحديد مجال الظواهر الاولى بالدراسة، او تحديد البنية المنهجية.

البعد الثاني: يتحقق من خلال تأسيس مشروع نظري يسعى الى تطوير استكشاف كلي وشامل لموقف المرجعية الإسلامية من مختلف جوانب بناء المجتمع، سواء فيما يتعلق بعناصره الاساسية المكونة او عملياته او التفاعلات التي تقع على ساحته، من استكشاف الاطر النظرية التي قدمها المفكرون الاسلاميون للمجتمع الذين عاشوا في اطاره من خلال تحليل مؤلفاتهم.

جـ- تطوير البنية المنهجية للنظرية المنهجية: من خلال تبني جهد علمي حول استكشاف منهجية البحث لبناء نظرية اجتماعية اسلامية، نحاول في اطارها تجميع الدراسات التي تتعلق بالإسهامات المنهجية التي طورها باحثون عالجوا قضايا منهجية من مرجعية اسلامية، اضافة الى انه من الممكن ايجاد جهد ملازم لجهد التحليل النظري السابق، نسعى من خلاله الى استكشاف البنية النظرية لكل المفكرين الذين اخترنا نظرياتهم للتحليل بشان المجتمع، وبنفس منطق استكشاف نموذج المجتمع، يمكن ان نستكشف طبيعة الاجراءات المنهجية سواء على المستوى التحليلي او التطبيقي، تلك التي اتبعوها للوصول الى تصوراتهم النظرية، من خلال معرفة المنهجية المتبعة لدراسة واقع مجتمعاتهم.

خاتمة:

ان الامل معقود اليوم على ميلاد نظرية اجتماعية عربية اسلامية، تستفيد من سلبيات الماضي وتجارب الحاضر، لتساهم في انقاذ مجتمعاتنا من التخلف والتمزق الذي تعيشه الان، مما يفرض على المفكرين الاجتماعيين ضرورة التخلص من التبعية للنظريات الاجتماعية الغربية، واعتماد المداخل التصورية النظرية المحلية، المستمدة من الواقع الاجتماعي العربي، والمستمدة اصولها النظرية والمنهجية من التراث العربي وعمقه الاسلامي، ولكي تقوم نظرية اجتماعية عربية اسلامية لابد من:

- استنباط نموذج ارشادي تتحدد فيه الاطر الفلسفية والمنهجية، كما يتحدد فيه شكل ومحتوى مجتمعاتنا العربية والإسلامية.

- ضرورة ان تكون نقطة البداية للبناء النظري هي التشخيص الدقيق والفعلي للمشكلات التي تعاني منها مجتمعاتنا حاليا.
- ان يتبن النموذج الارشادي المقترح مناهج وطرق بحث يراعي فيها خصوصيات مجتمعاتنا، بمعنى يقوم على الهوية الدينية والمعرفية.
- ان تكون المنطلقات الاولى للبناء النظري الاجتماعي تقوم على الدين الاسلامي الذي بدوره يقدم فهما متكاملا للإنسان والحياة والكون.
- اعادة النظر في النظريات الغربية من خلال صياغتها في اطار التصور الاسلامي.

الهوامش:

1عبد الغاني بارة (2005): اشكالية تأصيل الحداثة في الخطاب النقدي العربي المعاصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ص 134.

2مهور باشة عبد الحليم (2014/2013): التأصيل الاسلامي لعلم الاجتماع، مقاربة في اسلامية المعرفة، اطروحة دكتوراه في علم الاجتماع، جامعة سطيف 2، الجزائر، ص132.

3المرجع نفسه، ص ص132-133.

4المرجع نفسه، ص ص 144-145.

5غسان عزي (2011): أزمة المنهجية في المنشورات العربية، لبنان نموذجا، في كتاب البحث النقدي في العلوم الاجتماعية، مداخلات شرقية غربية عابرة للانقسامات، جامعة بيروت، ص236.

6مهور باشة عبد الحليم، مرجع سبق ذكره، ص 145.

7المرجع نفسه، ص 175.

8علي حرب، الفكر والحدث (1997): حوارات ومحاور، دار الكنوز الادبية، بيروت، الطبعة 1، ص47.

9عبد الله العروي(2001): مفهوم العقل، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ص17

10محمد اركون(1998): تاريخية الفكر العربي الاسلامي، ترجمة هاشم، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء ، المغرب، ط3، ص55.

11محمد اركون، مرجع سبق ذكره، ص58.

12مهور باشة عبد الحليم، مرجع سبق ذكره، ص 51.

13احمد ابراهيم خضر(2000): اعترافات علماء الاجتماع عقم النظرية وقصور المنهج في علم الاجتماع، ط1، المنتدى الاسلامي، لندن، ص19.

14المرجع نفسه، ص20.

15مراد زعيمي(1997): النظرية العلم -الاجتماعية رؤية اسلامية، رسالة دكتوراه، علم الاجتماع، جامعة قسنطينة، ص ص96-99.

16نبيل السمالوطي، نظريات علم الاجتماع، دراسة لواقع علم الاجتماع في العالم العربي، دار الكتب، مصر، ص ص176-177

17عبد القادر عرابي، ابوبكر باقادر(2006): آفاق علم الاجتماع العربي، دار الفكر، دمشق، ط1، ص145

18مهور باشة عبد الحليم، مرجع سبق ذكره، ص 163.

19عبد الباسط عبد المعطي (1985): اتجاهات نظرية في علم الاجتماع، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، ص ص 199-201.

20معن خليل عمر(1984): نحو علم الاجتماع العربي، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، ص ص 10-11.

21مراد زعيمي(1985): محدودية علم الاجتماع الغربي والبديل الاسلامي، عدد43، ص ص 46-47.

22مهور باشة عبد الحليم، مرجع سبق ذكره، ص 186.

23علي ليلة (2007): مشروعية بناء علم الاجتماع من منظور إسلامي ندوة علم الاجتماع من منظور إسلامي القاهرة، ص ص145-149.